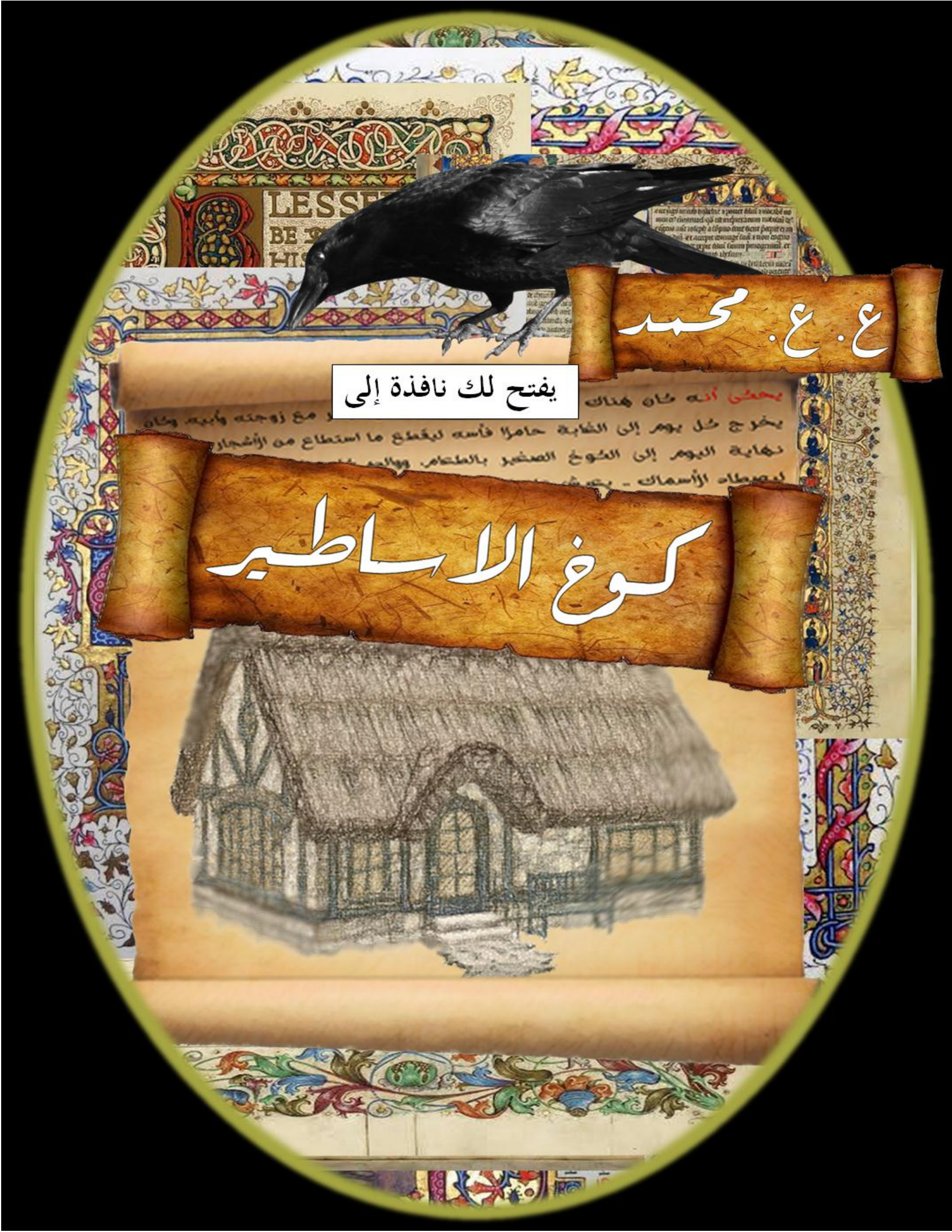
ع. ع. محمد
يفتح لك نافذة إلى
كوخ الاساطير

كوخ الأساطير

كوخ الأساطير

عبد الهادي عاصم محمد

٢٠٢١

نشر إلكتروني / قصة قصيرة

إذا أردت مراسلة الكاتب لأي سبب

فاضغط هنا

ع. ع. محمد

كوخ الأساطير

كان ياما كان يا سادة يا كرام ولا يحلى الكلام إلا بذكر النبي عليه الصلاة والسلام.

يحكى أنه في قديم الزمان وسالف العصر والأوان، في بلاد بعيدة كان هناك فتىً مولعٌ بالأساطير، ويعشق سماع حكايات السحر والخيال.

ولما أتم (أحمد) –وهذا كان اسمه– عامه السادس عشر ودع أبيه وأمه وخرج من داره ليجمع الأساطير وقصص البطولات من المملكة التي يعيش بها والممالك الاخرى.

جمع الحكايات من المخطوطات، والدفاتر القديمة المهترئة، وقام بتدوين الأقاصيص من على ألسنة الرجال والنساء الطاعنين في السن؛ كان بعضهم يخبره أنها مجرد قصص خيالية سمعوها وهم صغار، وبعضهم يؤكد أنها حقيقية والأبطال المذكورين فيها عاشوا منذ زمن بعيد.

سجل (أحمد) كل ما سمع، أو قرأ، أو وقعت عليه يده، حتى أصبح لديه كما هائلا من القصص المكتوبة، فعاد مرة أخرى إلى بلده بعد رحلة استغرقت أربعة أعوام كاملة.

ولأنه كان يستمتع بسماع وقراءة الأساطير منذ صغره قرر أن يشرك أهل مملكته في متعته، فقام ببناء كوخ صغير يعرض فيه تلك الحكايات بلا مقابل لمن أراد قراءتها.

في البداية كان عدد الوافدين قليل، لكن مرت الشهور وبدأ أهالي المملكة يتوافدون إلى كوخه الصغير؛ كان منهم فتيانا يريدون أن يقرؤوا تلك القصص ليستمتعوا بها، وآخرون لديهم قصص وأساطير جديدة ليقصوها على (أحمد) الذي لم يتردد في تدوينها وعرضها في الكوخ بأسمائهم، لكن كان أكثر الوافدين على (كوخ الأساطير) -كما أسماه- هم المسنون، الذين كانت تلك الحكايات تذكرهم بطفولتهم وشبابهم حين كانت أمهاتهم ترويها لهم لأول مرة.

رحب (أحمد) بالجميع باختلاف دوافعهم، وكان سعيدا لأنه حقق حلمه، وبات من حوله يشاركونه عشق الأساطير، وحكايات السحر والخيال.

مرت الأيام وازدادت شهرة (كوخ الأساطير) حتى وصلت إلى البلدان المجاورة. وفي أحد الأيام ظهر في المكان شاب يبدو غريبا عن البلاد. سرت الأقاويل بين أهالي المملكة بأن هذا الغريب يدعى (هانز) وهو أمير غني جدا، لكنه ليس بارعا في أي شيء ولا يجيد فعل شيء، لذا لم يكن مشهورا، ولا أحد يعرف اسمه. عرض (هانز) على (أحمد) المساعدة في الإدارة، وفي المقابل سيقوم

بتطوير المكان وجعله أكبر ويضع به مقاعد فاخرة تجذب القراء. وافق (أحمد)، وبالفعل تمت توسعة الكوخ وازداد عدد الوافدين، وغدا المكان أكثر شهرة من ذي قبل.

أصبح (هانز) مسؤولا عن كل شيء، ويشرف على جميع الأمور بنفسه. ورغم أنه لم يكن يؤمن بالأبطال ولا الأساطير ويرى أنها مجرد تسلية لا فائدة منها، إلا أنه لم يكن يظهر ذلك؛ كان يعامل الجميع بلباقة ويستقبلهم بنفسه. وكان (أحمد) يجلس وحده في ركن بعيد مواصلا تدوين الحكايات، وهو سعيد بمساعدة (هانز) التي منحته مزيدا من الوقت.

وفي يوم اقترح (هانز) أن يستأجر حارسا ليقف على باب الكوخ، وعلل ذلك بأنه سمع بسرقة وقعت في مكان قريب، ويخشى أن تُسرق الدفاتر والمخطوطات من الكوخ. ورغم أن (أحمد) كان يرى أن فكرة وجود حارس قد تفقد القراءة متعتها إلا أنه وافق على الاقتراح.

وهكذا قام (هانز) باستئجار حارس ضخم وجعله أمام باب الكوخ، ومع الوقت اعتاد رواد المكان على وجوده.

اطمأن (أحمد) لوجود (هانز) في الكوخ، فقرر أن يسافر في رحلة قصيرة ليأت بقصص الجديدة كان قد أخبره عنها بعض التجار الرحالة. أكد له (هانز) أن

(كوخ الأساطير) سيكون في أيد أمينة طوال مدة رحلته، فانطلق (أحمد) في سفره.

كانت المسافة طويلة، لكنه بلغ مقصده في النهاية؛ بيت صغير على حافة الجبل يعيش فيه عجوز حكيم. دخل عليه (أحمد) فوجده يجلس وحيدا في البيت الخشبي المظلم ويحدث نفسه. سلم عليه، فرفع العجوز رأسه الأشيب ببطء وأشار لـ(أحمد) بالجلوس وهو يبتسم. جلس الشاب أمامه مباشرة، وفورا طلب منه أن يحكي له القصص الثلاث التي أتى من أجلها، حتى يدونها في دفتره ويعود بها إلى بلده.

وبدأ الحكيم يحكي القصة الأولى ...

يحكى أنه في أعماق الغابة، بين الأشجار الكثيفة كان هناك بيت صغير بمدخنة كبيرة تعيش فيه الساحرة الشريرة مع ولدها الصغير؛ كان الولد يحب أمه حبا بلا حدود، وأرادت هي أن تعلمه فنون السحر الأسود، لكنه طريق مسدود؛ فالولد طيب وودود. فشلت في تعليمه فأخرجت روحه من جسده، ووضعتها في جسد غراب ازرقَّ لونه من شدة السواد؛ يحوم فوق المدينة طيلة النهار، ثم يعود إليها ليلا بالأخبار، وأما الولد الصغير فتركته تائها في الغابة بلا روح ...

انتهى من الأولى، وبدأ من فوره في الثانية ...

يحكى أنه كان هناك ملك وزوجته يحكمان مدينة كبيرة، رزقهما الله كل شيء لكن حرمهما الذرية. كان الملك يصلي لله أن يرزقهما ولدا جميلا ويدعو ليلا ونهارا، أما زوجته فلم تكن تصلي ولم يُسمع لها دعاء خفية أو جهارا. وفي يوم من الأيام من الأيام كانت تسير في شوارع المدينة تتعالى على الرعية، فمرت ببيت فقير مبنٍ من طين، يصدر منه صوت حزين؛ بكاء أطفال وشجار بالغَين. وكان لدى تلك الملكة خصلتي التنصت والفضول المشينتين، فاقتربت من الدار ونظرت من فتحة صغيرة في الجدار؛ رأت بالداخل رجلا وزوجته وحولهما خمسة أطفال يجلسون جميعا إلى المائدة الخالية من الطعام؛ الأطفال يبكون من الجوع، والزوجة تصرخ في زوجها وتقول: "ألا يكفينا ما نحن فيه حتى تزدنا مصيبة فوق مصائبنا". رد عليها زوجها بيقين: "لعل الله يغنينا بفعل الخير ... لعل الله يغنينا". لم تفهم الملكة عما كان الحديث لكن أدركت أنهم فقراء وبالتأكيد في حاجة لمغيث. طرقت الباب وعرضت عليهما أن تأخذ أحد أبنائهما الصغار لتربيه، وفي المقابل تعطي الرجل من المال ما يغنيه. كان الصغار ذوي طلعة حسنة. رضي

الرجل وزوجته، وقدما للملكة ولدا من أولادهما، وحصلا على النقود، وقبل أن تتركهما طلبت ألا يذكروا هذا الأمر لأي مخلوق. كانت الملكة تعلم أن زوجها الملك الطيب لن يوافق على ذلك، لذا فكرت في حيلة؛ أخبرته أن الصغير كان في السوق لا يجد بيتا يؤويه؛ يبكي من الجوع لا يعرف شيئا عن أمه أو أبيه. سُرَّ الملك بالفتى الخجول أيَّما سرور، وأقسم أن يجعل حياته كلها فرحا وحبور.

أنهى حكايته الثانية، ثم رفع بصره إلى ضيفه الذي بدا مستمتعا بتدوين الحكايات، فشرع دون تأخير في الحكاية الثالثة وعيناه تدمعان ...

يحكى أنه كان هناك أمير مغرور. كل فتيات المملكة معجبات بوسامته، وكان هو يعد الفتيات بالزواج ثم يخدعهن ويتركهن. وفي يوم من الأيام مر على حديقةِ ثمارٍ مِلك ساحرة دميمة قبيحة الوجه، تعمل في خدمتها فتاة تنازع القمر الجمال يعجب بها كل من يراها في الحال؛ كانت الفتاة تعمل في الحديقة ويبدو التعب على وجهها، وما إن رآها الأمير المغرور حتى وقع في حبها. مر من أمامها لكن لم تلتفت إليه وواصلت عملها؛ شعر بالغيظ لأنها أول فتاة لا تهتم به فقرر أن يجعلها تقع في حبه بأي

ثمن. في اليوم التالي اشترى عقدا كبيرا من الألماس وقدمه إليها، لكنها رفضته وواصلت عملها. في اليوم الذي يليه أخرج حصانه الأبيض من الإسطبل، وارتدى درعه الفضي، ومر من أمامها مزهوا لكنها لم تعره انتباهها وواصلت تنظيف الحديقة. أدرك الأمير أن الطرق التي تنجح في جذب انتباه باقي الفتيات لن تنجح معها؛ عندما حل الصباح الجديد توجه إليها مباشرة، وطلب منها الزواج، لكنها رفضت، وأخبرته أن روحها أسيرة عند الساحرة، ويجب أن تنهي فترة خدمتها حتى ترد إليها روحها وتسمح لها بالمغادرة، وطلبت منه ألا يعود من جديد حتى لا تؤذيه الساحرة. لكن الأمير ازداد تعلقا بها وحبا لها؛ عاد إلى قصره وهي لا تغيب عن عقله. لم يستطع الانتظار حتى بزوغ فجر اليوم الجديد، فأسرع إلى الحديقة ليلا لكنه لم يجد الفتاة. وكان باب البيت مفتوحا فقرر أن يسأل الساحرة عنها. وعندما دخل انغلق الباب من خلفه، ووجد الفتاة أمامه مبتسمة. اقترب منها لكنها أشارت إليه ليتبعها، وفي النهاية وصلا إلى حجرة النوم، وقضيا الليلة معا. وعندما حل الصباح نظر الأمير إلى الحسناء بجواره فوجد وجهها قد تغير وبدأت الثآليل بالظهور فيه، وبعد لحظات تحول وجه الفتاة بديع الجمال ليصبح الوجه الدميم للساحرة، وفي طريقه للخروج رأى

دماء على الأرض، فأدرك أن الساحرة قد تخلصت من الفتاة الجميلة، وسحرت نفسها لتشبهها، وتخدع الأمير؛ وأنه قضى الليلة مع الساحرة العجوز الدميم؛ فأحرق بيت الساحرة، وأقسم أنه سيكون رجلا صالحا ويتزوج؛ وألا يخدع أي فتاة مرة أخرى.

انتهى الحكيم من الحكاية الثالثة، فشكره (أحمد) زهم بالمغادرة، لكنه عاد وطلب منه أن يرجع معه لـ(كوخ الأساطير). بدأ العجوز بالبكاء وقال أنه مسحور ولا يمكنه مغادرة هذا الكوخ الخشبي الصغير حتى يأتي ابنه لإخراجه. طلب منه توضيحا، فأجاب بأن السحر يمنعه من البوح بأكثر من ذلك؛ وعليه أن يفهم وحده، لكنه قال له: "سأخبرك بثلاثة أمور عليك ألا تنساها أبدا؛ هناك صادق قد كذب، وكاذب قد صدق، واجتمع الأب والابن لأول مرة". تعجب (أحمد) من كلمات العجوز، لكن وعده ألا ينساها.

بعد تلك الرحلة التي طالت أكثر مما توقع عاد إلى (كوخ الأساطير)؛ كانت مساحته قد اتسعت كثيرا، وأصبح أكثر ارتفاعا، وأمام بابه يقف ثلاثة حراس؛ أحدهم يمنع فتىً صغيرا من الدخول. أسرع إليهم (أحمد) وطلب منهم أن يسمحوا للفتى بالدخول لكنهم دفعوه هو أيضا وقالوا: "ممنوع الدخول لغير الأعضاء". شعر بالغيظ لأنه لا يستطيع دخول المكان الذي بناه بنفسه، فطلب مقابلة (هانز) لكن الحراس أخبروه أن ينتظر بالخارج حتى يفرغ لمقابلته.

مر وقت طويل وفي النهاية خرج (هانز) من الكوخ وهو يبتسم. قال (أحمد): "ما الذي يحدث؟ لماذا لا يسمحون لي بالدخول؟ ومنذ متى أصبح هناك أعضاء وغير أعضاء؟" زاد (هانز) من ابتسامته، وقال: "أنت تعرف أن هناك الكثيرون يحاولون سرقة الكوخ الذي بنيته بنفسي، ويدَّعون أنه ملكهم لذا فهؤلاء الحراس موجودون ليتأكدوا أن من يدخل هو من يستحق". اتسعت عينا (أحمد)، وصرخ فيه: "الكوخ الذي بنيته أنت؟ إنه كوخي أنا؛ أنا جمعت كل تلك القصص ودونتها بنفسي!". ضحك (هانز) وقال: "لا؛ أنا صاحب هذا المكان ... حتى أنهم يلقبونني بالملك"، ثم تركه وغادر.

أدرك (أحمد) أن رواد المكان لن يتعرفوا عليه لأنه كان يجلس وحده يدون الحكايات، و(هانز) هو الذي كان يشتري الأثاث الفاخر ويستقبل الرواد. لم يعرفه إلا عدد قليل جدا من الرواد الأوائل معظمهم من كبار السن لكنهم كانوا مرتاحين مع (هانز) ولم يهتموا؛ إن حبهم للكوخ ليس لما تحويه القصص والأساطير من سحر وإبداع وبطولات، بل لأنها تذكرهم بطفولتهم حين كانت تحكيها لهم أمهاتهم، لذا فهم لا يأتون للقراءة، بل للتواجد في مكان يشعرهم بدفء الماضي وحسب.

حاول (أحمد) مرارا العودة للكوخ لكنه فشل في ذلك، فطالب بدفاتره ومخططاته التي دونها وجمعها بنفسه، لكن (هانز) رفض وقال بسخرية: "إذا كنت أنت الذي كتبتها فأعد كتابتها من جديد".

يئس (أحمد) من العودة للكوخ، أو استعادة قصصه، لكنه لم ييأس من حلمه الأول؛ فجمع بعض الأخشاب من الغابة، وبنى كشكا صغيرا في مكان قريب وبدأ بتدوين ثلاثة القصص التي حصل عليها مؤخرا مع ما يذكر من حكايات، وعرضهم جميعا بعد التعديل عليهم وتحسينهم، وفتح الباب لكل من يرغب في قراءة الحكايات أو الإضافة إليها. رغم أن المكان كان صغيرا ولا يقارن بحجم (كوخ الأساطير) إلا أن بعض رواد الكوخ أتوا إليه لأنهم شعروا بالدفء والقرب في هذا المكان الجديد أكثر من القديم. ولم يعارض (أحمد) أن بعض الرواد أصبح يرتاد المكانين معا، لكن (هانز) كان يهدد كل من يذهب للكشك أنه سيحرمه من دخول الكوخ ويحرمه العضوية. ولم يكتف بهذا بل أرسل جواسيسا لينقلوا نسخا عن القصص الجديدة التي حصل عليها (أحمد) بعد طرده من الكوخ. وفي إحدى الليالي أرسل قاطع طريق ملثم ليحرق الكشك، لكنه عندما اقترب لمح (أحمد) نائما بالداخل، فأشفق عليه وغادر دون فعل شيء.

بدأ (هانز) ينشر الأكاذيب حول الكشك ليبعد الناس عنه. واستمرت محاولاته لجذب الرواد الجدد للكوخ بدلا من الكشك، و(أحمد) يقف عاجزا ليس بيده حيلة، وحتى عندما اشتكى للقاضي وطالب بحقه في الكوخ، أخبره هذا الأخير أنه لا يوجد دليل على أنه هو صاحب الكوخ، كما أنه لا يوجد من يشهد بذلك.

في تلك الليلة نام (أحمد) وهو يبكي لأنه لا يستطيع استعادة حقه، فرأى في نومه (هانز) لكن بدلا من عينيه كان هناك حفرتين مظلمتين. كان يحاول قتله بالسكين، لكن العجوز الحكيم صاحب الحكايات منعه، ثم أشار إلى قوس وسهم بجواره. التقطهما (أحمد) ومدهما إلى العجوز، لكنه لم يأخذهما، بل قال: "عند المرة الثالثة ... عندما تعود الأرواح لأصحابها أخبر ابني أني في انتظاره".

استيقظ من نومه وهو يلهث مما رأى في الحلم. شعر بيده تقبض على شيء صلب؛ كان ممسكا بالقوس والسهم اللذين كانا في الحلم. كان الوقت فجرا فقام من نومه ووقف أمام الكشك يتطلع إلى السماء الصافية، وذهنه مشغول بهذا الأمر العجيب. وبينما هو كذلك إذ به يرى غرابا أزرق اللون فتذكر قصة الحكيم. كان حجم الغراب ضعف الحجم العادي للغربان وعيناه حمراوان. لم يلتفت الغراب لـ(أحمد)، بل أخذ يحوم فوق المكان وفي النهاية وقف على حافة

بئر صغير وشرب ثلاث شربات ثم طار بعيدا. بدأ يفكر في كلام العجوز في الحلم، وفي الحكايات ثم تذكر الكلمات الثلاث؛ صادق قد كذب، وكاذب قد صدق، واجتمع الأب والابن لأول مرة! فكر (أحمد): "العجوز لا يمكنه إخباري بحكايته بسبب السحر، فماذا لو أنه أخبرني بها فعلا، ولكن على صورة حكايات؟! ماذا لو أن تلك القصص كلها حقيقية ومرتبطة؟".

ظل يفكر في الأمر طوال اليوم وحتى في الليل لم ينم إلى أن طلع الفجر، وعندما لمح الغراب الضخم الأزرق يقترب أصبح كل شيء واضحا؛ الساحرة الدميمة خدعت الأمير المغرور وأصبحت حاملا منه، وعندما أحرق بيتها لم تمت لأنها هربت إلى الغابة، وهناك أنجبت ولدا صغيرا، وحاولت تعليمه فنون الشر لكنه كان طيبا مثل أبيه، فنزعت روحه ووضعتها في جسد غرابها الأسود، فأصبح الولد بلا روح وتاه في المدينة، ثم وجده الرجل الفقير وأخذه لبيته ليطعمه رغم فقره، ولهذا كانت زوجته تعاتبه، ولما طلبت الملكة أن يقدما لها أحد أبنائهما قدما لها الولد الغريب، وبهذا كذب الرجل الصادق الطيب عندما أخبر الملكة أن الولد ابنه، وعندما أخبرت الملكة زوجها أن الولد كان تائها في المدينة صدقت رغم أنها أرادت الكذب، واجتمع الأب والابن لأول مرة، لأن الملك هو نفسه الأمير الذي كان مغرورا، إلا أنه أصبح صالحا وتزوج، والولد هو ابنه من الساحرة، والغراب الذي يقترب الآن ليشرب من البئر هو نفسه

غراب الساحرة. أدرك (أحمد) أن عليه قتل الغراب -كما طلب منه العجوز في الحلم السحري- لتعود الروح للولد. وبينما هو ينتظر اقتراب الغراب خرج (هانز) من الكوخ. لمح (أحمد) يمسك بالقوس فبدأ بالضحك والاستهزاء.

انتظر (أحمد) حتى ينحني الغراب على البئر ليشرب للمرة الثالثة، ثم رماه بسهم أصابه. اشتعلت عينا الغراب وبدأ بالصراخ صراخا مدويا، وفي النهاية خرجت من فمه سحابة حمراء اللون ثم تحول لفتاة حسناء. ودخلت السحابة في فم (هانز) قبل أن يتمكن من الرهب، فصرخ ثم وقع على الأرض، وأخذ يبكي.

اقتربت الحسناء من (أحمد)، وقالت: "شكرا لأنك حررتني، لقد أخبرَت الساحرة الأمير أنني متُّ، لكنها كانت قد حولتني لغراب أسود. ولتتمكن من ربطي إلى جانبها، ومنعي من الهرب كان عليها أن تضع بي روح طفل، فأخذت روح ابنها الصغير، ووضعتها بي، وهكذا أصبح عليَّ العودة كل يوم حاملة لها الأخبار. ولكن من أعطاك القوس والسهم لتحررنا؟!". قال (أحمد) وهو لا يزال مندهشا: "إنه عجوز حكيم يعيش في كوخ مظلم".

رفع (هانز)، وتوقف عن البكاء، ثم قال: "هذا الحكيم هو نفسه الملك ... أبي؛ بعد أن أصبحتُ بالغا بدأت أتصرف تصرفات شريرة، وأعامل الجميع كأنهم عبيد عندي، فأخبره رجل غريب أني مسحور وبلا روح، وعلاجي موجود في الكوخ المظلم على قمة الجبل، فترك مملكته وانطلق إلى هناك ليُفاجأ

أن هذا الغريب لم يكن إلا الساحرة متنكرة، وعرف -منها- لأول مرة أني ابنه. ألقت عليه لعنة لتنتقم منه؛ لأنها أحبته، لكنه لم ينظر إليها لدمامة وجهها؛ كان عليه أن يبقى في الكوخ المظلم حتى أذهب لإخراجه بنفسي، كما لا يمكنه إخبار أي شخص وإلا سأموت، وبالطبع كنت أنا بلا روح فنسيت أمره بمجرد رحيله؛ أخذت النقود وقطع الذهب، وغادرت المملكة، وبدأت أتجول في كل مكان بلا هدف، لكن الآن سأجتمع بأبي للمرة الثانية، ونذهب لقتل الساحرة الشريرة".

تزوج (أحمد) من الحسناء -التي لم يزد عمرها يوما عندما كانت على هيئة الغراب- وطرد الحراس من (كوخ الأساطير)، وأصبح يقوم بشؤونه هو وزوجته الجميلة معا.

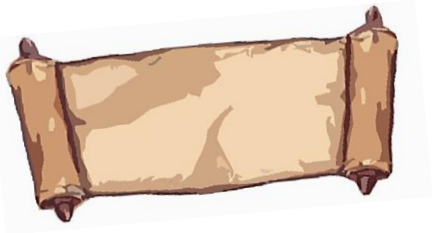

دعمك للصفحة يعني مواصلة النشر

فلا تبخل بالإعجاب

صفحة ع. ع. محمد